مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN–2536–0027

المشهد الكربلائي في (كتاب شعراء الطف أو شعراء الحسين إنموذجا)

م.م. رحاب فياض شنين
جامعة ذي قار/ رئاسة جامعة ذي قار
rehab.fayyadh@utq.edu.iq

الملخص:
الدراسات التي تناولت المشهد الكربلائي قليلة على كثرتها؛ لذا فإن غاية البحث الأولى نصرة القضية الحسينة ومن ثم تتبع أساليب عرضها، ودلالاتها داخل الخطاب الشعري ، فقد اثبتت المشاهد التعبيرية قدرتها على نقل الأحداث الواقعية وتداولها داخل النص، وإمكانية خلق تصور ذهني لما جرى على ارض كربلاء من مظلومية.

Summary:
Studies that have dealt with the Karbalai scene are few in number; Therefore, the first goal of the research is to support the Hussein cause, and then follow the methods of presenting it and its connotations within the poetic discourse. Expressive scenes have proven their ability to convey realistic events and circulate them within the text, and the possibility of creating a mental perception of the oppression that happened on the land of Karbala.

مفهوم المشهد الشعري:
مما لا شك فيه أن المشهد الجيدة يتحقق من اللغة الجيدة التي تتولى عملية نقل المشهد بكل صوره إذ ((أن سبيلّ الكلام سبيلُ التصوير والصَّياغة، وأنَّ المَعنى الذي يعَّبر عنه سبيلُ الشيء الذي يقع التَّصوير والصوغُ فيه)) [١] ، أي إن الشعر في مراحله الأولى صوراً يصوغها الكاتب ويشكلها بطريقة تؤثر في المتلقي وتنقله إلى مسرح الأحداث ((نقلا حيث تتوالى المشاهد وتتنوع الأحداث ، ثم لا يلبث القاري أو السامع أن ينسى أنها كلمات تتلى وأمثال تضرب ، بل هي مشاهد تعرض وأحداث تقع...))[٢] ، لذلك يمكن القول أن المشهد هو: مجموعة صور لغوية ((تعرض شريطاً متحركا حافلا بالخلفيات التي تتحرك فيها الرموز))[٣]، لتعيد تشكيل الواقع بطريقة تحاكي الحقائق والأحداث بالاعتماد على عناصر ومعطيات واقعية أو بالاعتماد على خيال مبدع[٤].

وعليه فإن البناء المشهدي يعتمد في واقعه على الصورة المخيلة التي يقدمها الكاتب وينفعل لتخيلها المتلقي من غير روية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض[٥]، واضف إلى ذلك قدرة الشاعر على البناء الدرامي والقصصي المشكل للواقع بكل ملابساته الزمانية والمكانية .

إذن المشهد في مضمونه هو حدث فعلي أو افتراضي يصوره الشاعر بأسلوب درامي يصور الأفعال والحركات التي يقوم بها الممثلون[٦]، فتقترن أفعالهم المشهدية بـ (الحركة/الحدث، والمتخاطبين، والظروف) و ((اذا نقلنا الحدث، المتخاطبين، والظروف من صعيد الواقع المأساوي إلى التركيب البنيوي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

فإننا نحصل على الفعل والعوامل والظروف))[٧]، المستمرين للأحداث المبنية على الواقع وتمتلك صفة المصداقية التي تخاطب مشاعر المتلقي فيتخذ جانب معين تجاه ما يعرض عليه من مشاهد.

لذلك حظي المشهد الكربلائي باهتمام كبيراً من قبل شعراء الطف بشكل خاص ؛ ذلك لان المشهد الكربلائي لازال عند الشيعة يمثل ثورة ضد الظلم والظالمين في كل زمان ومكان، فهم لا يقدسون ذات الحسين(عليه السلام) فقط _غير انه يستحق التقديس، فهم يؤمنون أيمانا ثابتا بان الحسين رمزا للحق وطريقا لرضا الله، سبيلا لنصرة المظلوم، ومثالا لصلاح البشرية جمعاء.

يقول الشاعر العربي المعروف عقبة ابن عمرو السهمي وقد قصد كربلاء ؛ لزيارة قبر لإمام الحسين (عليه السلام) [٨]:

مررتُ على قبر الحسينِ بكربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرُها
وما زلتُ أبكيه وأرثي لشجوهِ ... ويُسعد عيني دمعُها وزفيرُها
وبكيتُ من بعد الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيهِ قبورها
إذا العينُ قرت في الحياة وانتم ... تخافون في الدنيا فاظلم نورها

نجد الأفعال (مررت، ما زلت، بكيت) خلقت للمشهد حركة وتغيرات مستمرة وهي تنقل لنا مشهد زيارة الشاعر لقبر الإمام الحسين(عليه السلام) ومن دفن بجواره من الأصحاب، وقد الم به الحزن الشديد، فيقدم مشهد دقيق ومفصل عن حالة الحزن والبكاء الموصول على ما جرى في كربلاء من ظلم لآل بيت الرسول (عليهم السلام).

لينتقل بعد ذلك لتصوير اهم مشهد في مرثيته وهي الغاية التي قصد بها كربلا ، فيجدد العهد والولاء والتمسك بهم وهو مستأنس الجلوس إلى جوار القبر الشريف لا يهوى فراقه وهو حال كل الزائرين فيقول[٩] : ...

سلامٌ على اهل القبور بكربلا ... وقلَّ لها مني سلاما يزورها
سلامٌ بآصال العشي وبالضحي ... تؤديه نكباءُ الرياح ومورها
ولا برح الوفَّاد زوار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرُها

استعمل الشاعر لختام مشهد الزيارة اللفاظ ذات دلالات متعددة نحو لفظ (سلامٌ)، ليرفع من أفق التوقع لدى المتلقي هذا أولا، ويترك المشهد مفتوحا بدون نهاية أشاره إلى عدم رغبة الشاعر في الرحيل ثانيا.

أما الشاعر سليمان بن قتة العدوي التيمي(ت١٢٦ ه) عرض مشهد الزيارة بأسلوب مختلف تماما، ليكشف عن شخصيته الثائرة والغاضبة ، ولا يتحقق ذلك ألا عن طريق حوار الشخصيات مع بعضها أو عن طريق حوارها الداخلي يتيسر لنا التعرف على طبيعة الشخصية وما تضمره من خفايا وصفات[١٠] ، فيقول في المشهد الأول[١١]:

مررتُ على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلـــَّتِ

يُفتتَح المشهد بفعل(مررت) ليتنقل بالزمن من حال الى حال كيف كانت بيوت النبي وكيف أصبحت، فيرى مصارع آل محمد مصيبتاً ليس كمثلها مصيبة، فلا تعجب أذا مرضت الشمس واقشعرت البلاد [١٢]: ...

الم تر ان الشمس أضحت مريضة ... لقتل حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم اضحوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها ... وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

ليخلص بعدها إلى مشهد خطابي فيه استنهاض للهاشميين وشيعتهم وبيان موقف الشاعر الواضح ممن قتل الحسين وأهله فيستدعي معنى مرسل جسدته الصورة الحسية (قطرة من دمائنا) ليوصل خبر مفاده: أن لن نترك حق طلب الثأر، [١٣]: ...

وعند غني قطرة من دمائنا سنطلبها يوماً بها حيث حلت
فلا يبعد الله الديار واهلها وإن أصبحت منهم برغم تخلت

يعدُّ الحوار سواء كان حوارٌ داخلياً أم خارجياً من اهم عناصر البناء اللغوي للمشهد، به تنمو الأحداث وتتطور ، والشاعر يستخدمه كتكنيك إضافي مع تعدد الأصوات أو الشخصيات[١٤]، ففي أبيات للسيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، كان الحوار تكنيك مهم في تأسيس المشهد ، قالت تنعي أباها[١٥] :

نعقَ الغرابُ فقلتُ مَنْ تنعاهُ ويحك ياغرابْ
قال: الإمام فقلتُ مَن قال : الموفقُ للصواب
قلت: الحسين، فقال لي بمقالِ محزونٍ أجابْ
إن الحسين بكربلاء بين الأسنة والحرابْ
أبكي الحسينُ بعبرةٍ تُرضي الإله مع الثوابْ
ثم استقلّ به الجناح فلم يطقَ ردّ الجوابْ
فبكيتُ مما حلّ بي بعد الرضى المستجاب

المشهد كما قلنا قائم على الحوار بين شخصية حقيقة وأخرى خيالية استدعى فيه رمز الغراب ليصف ناعي الحسين الذي يدور بينه وبين الشاعر حوار مؤلم تتدرج خلاله الأحداث، التي تبدا بتعريف المقتول(الموفق للصواب) وقد تكرر اسم الحسين مرتين للدلالة على قرب القائل منه وهو(بين الأسنة والحراب) ، حتى يقفل المشهد عند انكسار لطرفي الحوار وهما ما زالا في بكاء وحرقة على ما جرى في كربلاء ، وفيه دعوة إلى الشيعة للأحياء مراسيم عزاء كربلاء، التي بها يرضي الله وينال ثوابه في الآخرة .

إلا أن السيد شريف الرضي يرى في البكاء والحزن جلاء للقلوب الصدئة، فيقول في مصرع جدة الحسين علية السلام[١٦]: ...

ألا إن يومَ الطف أدمى محاجرا وأدوى قلوبا مالهن دواءُ
وإن مصيبات الزمان كثيرةً وربَ مُصابٍ ليس فيه عزاءُ
أرى طخية فينا فأين صباحها وداءً على داءٍ فأين شفاءُ ؟
وبين تراقينا قلوبٌ صدينة يُراد لها لو أعطيته جلاءُ

المشهد فيه تعظيم ليوم الطف وبشاعة ما جرى في ذلك اليوم الذي ادمى المحاجر والقلوب ، فاستعار الشاعر مشهد لون الدم (ادمى محاجراً) ، ليستدل القارئ على غضبه وشدة حزنه ، ويتصاعد عظيم المصاب في المشهد الثاني ويرد على المعترضين، فليس وقعة كوقعة كربلاء ولا مصيبة كمصيبة أبا عبد الله فكل المصائب تتلاشى وتنصهر ، هذا وقد مضى على استشهاد الحسين (عليه السلام)، الف وأربعمئة سنة أو يزيد، ولا زالت الفاجعة تتجدد في كل عام؛ لينتقل مستفهما أين الشفاء؟ وحرارة الثكل تلهب قلبه وتجعل أيامه ليل لا ينتهي فلا يجد متنفسا لآلامه إلا البكاء .

والواقع ان مقتل الحسين على هذه الصورة من البشاعة والمبالغة في التنكيل به وباهل بيته قد الهب قلوب الشعراء والموالين، فلا تجد عاقل منصف سمع بما جرى في كربلاء إلا وتأثر بمصابهم واذرف الدموع

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

حزنا وألما، ولعله ما اضفى على المشهد الكربلائي كله لونا حزيناً باكياً، فحين يقول الشاعر زيد بن سهل الموصلي النحوي مصورا عظم الجناية قائلا[١٧]:

فلولا بكاء المزن حزناً لفقده لما جاءنا بعد الحسين غمامُ
ولو لم يشق الليل جلبابه اسىً لما انجاب من بعد الحسين ظلامُ

نلاحظ دور الروابط في خلق الانسجام والتناسق بين لقطات المشهد الواحد. اذا ابدع الشاعر في توظيفها وفي صياغة المشاهد الذهنية، ليجعل كل مشهد يناسب الجو النفسي، فلولا بكاء السماء ما كانت لتمطر على الظالمين، ولو لم يشق الليل ثوبه جزعا ما كان النهار ليشرق.

ويتمنى الشاعر ابن لهبارية(ت٥٠٩ ه)، لو انه كان حاضرا في كربلاء فيقول[١٨]:

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسما يكون الحقُ عنه مُسائلي
لو كنتُ شاهد كربلا لبذلتُ في تنفيس كربك جهد بذل الباذلِ
وسقيتُ حد السيف من أعدائكم عَلَلا وحدّ السمهري البازل
لكنني أخرّتُ عنك لشقوتي فبلابلي بين الغري وبابلِ
هبني حُرمتُ النصر من أعدائكم فاقل من حزنٍ ودمع سائل

يفتتح المشهد بالقسم برسول الله وهو فعل عظيم أوجب صدق المتكلم في أقواله وأفعاله، فالشاعر مستعد لتلبية النداء وتفريج الكرب عن الحسين عليه السلام، وبأسلوب بارع يدمج بين زمنه وزمن الفاجعة ويرفع الفواصل الزمنية ويلبي نداء الحسين المدوي (ألا من ناصر ينصرنا) ، فيعود وينصدم بحقيقة الواقع المر الذي أخره عن النصرة فيتوسل بالحسين أن لا تجف دموعة ولا ينتهي حزنه .

كان الحسين ولا يزال قبلة القاصدين ومنارة المهتدين فهو ساكن في القلوب والضمائر حتى اصبح اسم الحسين رمزا لكل خير ومحورا يدور حوله أهل الحق ، يقول الشاعر علي جلال الحسيني المصري [١٩]:

...
يا قبلة للأولياء وكعبة للطائفينا

يُبرز الشاعر المكان كتكنيك رئيس يعمر به البنية الفنية للمشهد الشعري فيتخذ من الحسين وكربلاء رمزا للحق وطريقا للصالحين ، والخطاب عام لا يستثني منه القائل، يقصد به حدوث تأثير انعكاسي على السامع أي إن ((المتكلم يقصد بقوله أن يكون له تأثير معين على السامع))[٢٠]، تضمين الحدث وهو تكتيك يعرف بانه : ((قصة غريبة عن المتن الأصلي بحيث يوقفه حتى تنتهي القصة من دون إكمال المتن الأصلي))[٢١]يشغل ذهن القارئ ويحدث ارتداد انفعالي تجاه الحقائق الموثقة بالدليل فيتصور السامع طريق السعادة ويبتعد عن طريق الشقاء [٢٢]: ...

وهو السعادة، إن بعدنا عن منازلها شَقِينا
ما إن توسلنا به في الجدب نلقاه سقينا
وإذا ذكرناه على الم الم بنا شفينا

وبأسلوب الشرط ، يقدم الشاعر مشهد احتجاجي محكم ، فلا يشبه الحسين بالسعادة بل هو السعادة نفسها ((وعند ذلك من سلك مسلكه عيه السلام ونهج منهجه فاز ونجى عن بينة، ومن تخلف واستحوذ عليه الشيطان هلك عن بينة))[٢٣]عندما صور من ولتأكيد الخبر يعطي للمستمع دليل حسي عنما استدعى قصة الاستسقاء و دعوة النبي الناس للتوسل باسم الحسين

وهذه المصيبة اثارت عوطفة الشعراء وهي عواطف حسينيه صادقة غير مشوبة تنبع عن حب حقيقي لمحمد وآل محمد، لهذا قال الشيخ ابراهيم بن نصر قاضي السلامية[٢٤]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

يا شهر عاشوراء أذكرتني مصارع الأشراف من هاشم
أبكي ولا لوم على منَ بكى وإنما اللوم على اللائم
ما من بكى فيك أشدّ البكا وناحَ بالعاصي ولا الآثم
رزية ما قام في مثلها نائحة تندب في مآتم

يعيش الشاعر حالات الصراع النفسي التي ترتفع مع قدوم شهر عاشوراء وهو يحمل قتلا بني هاشم ، ليجيش الشاعر بالبكاء فيدخل في منولوج داخلي، تتذارف به الدموع وتتصاعد وتيرة الحزن العميق، وهو غير آبه بمن يحاول ان يثنيه عن البكاء ويرد بقوة ليس البكاء معصية ولكن قلة الدموع من قساوة القلوب.

هكذا دافع الشعراء عن القضية الحسينة ملبيين نداء سيدهم _الا من ناصرا ينصرنا، سلاحهم الكلمة بها يبرهنون على بشاعة ما جرى على ارض كربلاء من فضاعه، كما فعل الشاعر نجم الدين بن نما الربعي (ت٦٨٠ ه) بقوله[٢٥]:

يصلي الآله على المرسل وينعت في المحكم المنزلْ
ويغزى الحسين وابناءه وهم منه بالمنزل الافضل
الم يكن هذا اذا ما نظرت اليه من المعجب المعضل

يعرض الشاعر مشهد تراجيدي يصور به عظيم الجناية ، ويخلق فجوة للمتلقي ليملئاها بما أوتي من عقل ولب سليم، اذ جعل قدسية الحسين من قدسية محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وبقتلهم الحسين قتلوا النبي وهذا جرم استوجب غضب الله وسخطه.

لذلك حاول الشعراء أن يوفروا لمشاهدهم الشعرية كل الادوات الفنية القادرة على الإيحاء وتصوير المشهد الكربلائي، ففي خطاب الشاعر علاء الدين الشفهيني، يقول مذكرا بني أمية بفضائل اهل البيت عليهم (ت٧٨٦ه)[٢٦]:

وعليك خزي يا أمية دائما يبقى كما في النار دام بقاكِ
هلا صفحت عن الحسين ورهطه صفح الوصي ابيه عن اباكِ
وعففت يوم الطف عفة جده المبعوث يوم الفتح ن طلقاكِ
افهل يدٌ سلبت إماءكم مثلما سلبت كريماتِ الحسين يداكِ
أم هل برزن بفتح مكة حّسراً كنسائه يوم الطفوف نساكِ

يبني الشاعر أبياته على المفارقة التصورية طرفها الأول اهل البيت وما كانوا عليه من خلق عظيم، وطرفها الثاني آل امية متمثلة بأفعالهم المخزية، ومن خلال هذا العرض ((تبدو المفارقة فادحة واليمة، حيث تصبح منابع العطاء والخصب...، رموزا للجدب والعقم ، ومعاني الشجاعة رموزا للجبن، وقيم الخير رموزا للشر))[٢٧]، فهو يتعامل مع الأحداث منفصلة، والواقع الشاعر يتخذ من الحقائق وسيلة للوصول إلى الهدف

ولم يخلو المشهد الشعري الكربلائي من العمل المسرحي، يطمح من خلاله الشاعر إلى نقل واقعة الطف، والتأثير في جمهور المتفرجين الذين تختلف طبائعهم، وامزجتهم، وثقافتهم[٢٨] ، عندما يقوم الشاعر بنقل الواقع وتصوير أحداث متسلسلة يتصورها المتفرج ذهنيا هو ما يقرب المسرحية من غايتها و ((الصراع في المسرح كما هو في الحياة لا بد ان يكون صراعا بين نقيضين))[٢٩] وهنا يبرز دور الشاعر وبراعته في وصف شخوص مسرحيته متخذ دور الراوي، لذا يلجا الشاعر إلى افتتاح المسرح بمشهد تقديمي وقد قتل الحسين وحيدا دون دينة ، وهي طريقة تثير عواطف الجمهور وتشدهم إلى المشاهد القادمة ، ومشهد القتل يمثل نهاية الأحداث لينتقل بنا إلى بدايات والأسباب وهذا الانعكاس في التراتبية للأحداث تقنية يتبعها

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

الشاعر لتحريك المشاعر نحو فداحة الجرم ، للشيخ علاء الدين الشفهيني قصائد اكثرها في اهل البيت، يقول في أحداها [٣٠]: ...

بأبي بعيد الدار منهتك الحمى عن عقر منزله بعيدٌ مفردُ
بأبي الذي كانت لفرطِ مصابه شمُ الرواسي حسرةً تتاوَّدُ

يحرك الشاعر عواطف الجمهور بمشهد مصرع الحسين وحيدا وقد انتهك الأعداء الحمى وقتل جميع أصحابه وهو مشهد تخر الجبال من الحزن عليه الم وحسرة.

بعد أن هيئة الجمهور وقد أثار تساؤلاتهم عن هذا الغريب المسجى ينتقل بعدها الشاعر الى اهم مشهد تبنى عليه المشاهد القادمة، ليثبت بالدليل القاطع مظلومية الحسين عليه السلام وان ال امية قتلوه غدر عندما استدرجه اتباعهم من اهل النفاق برسائلهم السوداء ، وقد الحوا بطلب القدوم اليهم ، ليتوجه بعد ان اخذ منهم عهود الطاعة والولاء [٣١]: ...

كتبت اليه على الغرور أميةٌ سفهاً وليس لهم كريماً يحمدُ
بصحائفٍ كوجوههم مسودَّةٍ جاءت بها ركبانَهمْ تتردُ
حتى توجّه واثقاً بعُهودِهمْ وله عيونهمُ انتظاراً ترصدُ

نلحظ استخدام الشاعر الأفعال(كتبت، جاءت) وهي أفعال إنجازيه من شأنها تغير وضع المتلقي وأحداث تغير في سلوكياته، إذن من كتب وارسل الوفود هم اتباع أمية وليس الحسين عليه السلام .

يتخذ الشاعر دورا بارزا في تطور الأحداث وتناميها، تحدث المفارقة لتضحى كتب الولاء غدر، ومن ذهب لأيمهم ويصلح دينهم، يحشدون الحشود ويعدون العدة لحربه ، يقول[٣٢]:

اضحى الذين أعدَّهمْ لعدوَّهِ إلباً جنودُهمُ عليهِ تُجَنَّدُ
وتبادروا متسارعين لحربهِ جيشاً يُقاد له وآخرُ يُحشَدُ

يخاطب الشاعر الجمهور عبر عرض الأحداث من خلال التفصيل في المشاهد ويستحضر في ذهن القارئ مشهد الافتتاح والتقاء الجمعان في صراع الخير والشر فيقول[٣٣]:

حتى تراءى منهم الجمعان في خرقٍ وضمّهمُ هنالك فدفدُ
الفوه لا وكِلاً ولا مستشعراً ذلّاً ولا في عزمه يتردَّدُ
ماضٍ على عزمٍ يفلُّ بحدهِ الـــ ماضي حدودَ البيضِ حين تُجَرَّدُ
مستبشراً بالحربِ علماً أنَّه يتبوأ الفردوسَ إذ يستشهَدُ

وظف الشاعر كثير من الروابط اللغوية متصلة منها ومنفصلة؛ لرسم لوحة متكاملة لواقع المعركة الحقيقي، اذا تراءى الجمعان ولم يكن هنالك تناسب في العدد والعدة، وهم يحاولون ما بين الترهيب والترغيب أن يثنوا الحسين وأصحابه عما عزموا عليه ويبايعوا يزيد ، ولكن هيهات منه الذلة وهو من هو ، ليختار السيف غير ابه فهو ماض على طريق جده وأبيه ليضع الحق في مكانه والباطل في مكانه ، وينتهي المشهد بسقوط بطل المسرحية وهو مستبشرا في طريقه إلى الله و إلى جنة الفردوس شهيدا بعد أن خط بدمة طريق الهداية ، ومن حولة اهل بيته والأنصار صرعى وقد استبسلوا في الدفاع عن أمامهم ليسجلوا صور البطولة ويحتجوا على الإنسانية بمظلوميتهم فكانت كربلاء شاهده لعزمهم وشجاعتهم فيقول[٣٤]: ...

في اسرةٍ من هاشمٍ علويةٍ عزت ارومتهم وطاب المولدُ
وسراة انصارٍ ضراغمةٍ لهمْ اهوالُ يومٌ للوقائع تشهدُ

ويجد الشاعر في التكرار متنفسا لعرض قضية الحسين لمشاهد مبنيه على أحداث حقيقية يقول مفلح بن حسن رشيد الصيمري(ت٩٣٣ه)[٣٥]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وترفع صوتا ام كلثوم بالبكا وتشكو الى الله العلي وتضرعُ
وتندب من عظم الرزية جدها فلو جدنا يرنو الينا ويسمعُ
أيا جدنا نشكو اليك أمية فقد بالغو في ظلمنا وتبدعوا
ايا جدنا لو ان رايت مصابنا لكنت ترى أمراً له الصخر يصدعُ
ايا جدنا هذا الحسين معفراً على الترب محزوز الوريد مقطعُ
فجثمانه تحت الخيول وراسه عناداً باطراف الاسنة يرفعُ
ايا جدنا لم يتركوا من رجالنا كبيرا ولا طفلا على الثدي يرضعُ
ايا جدنا لم يتركو لنسائنا خماراً ولا ثوباً ولم يبقى برقعُ
ايا جدنا سرنا سبايا حواسراً كأنا سبايا الروم بل نحن اوضعُ
ايا جدنا لو ان ترانا أذلة اسارى الى اعدائنا نتضرعُ

تحاور أم كلثوم جدها وتشكو إليه ما جار عليهم بعده من ظلم وقتل ، في مشاهد سريعة و وأحداث متتابعة من(قتل ، وقطع الرؤوس، و وسحق الأجساد ، وقتل الأطفال ، وسبي النساء، و تنتهي بنقل الأسرى إلى الشام) ، كل هذه المشاهد تخلق لدى السامع تصور ذهني مؤلم عما جرى على ارض كربلاء ، ولعل أسلوب النداء عمل على ذلك، لتكون مجزرة (٦١ه) صرخة خالدة لمشاهد الظلم والجور.

وهكذا نجد إن المظلومية جعلت من الحسين وأصحابه رمزا ، يتناوله الشعراء في كل حق ، ومن بني أمية وأشايعهم رمزا لكل شر ، فهم ملعونين أشقياء ومصيرهم النار على ما اقترفوه من جرائم، وللشاعر حسين افندي العشاري، مشاهد تصور مصيرهم المخزي ، قائلاً [٣٦] :

شقيت ودار الأشقياء جهنم لها زفرة من حرّها وسعير
حسين حسين من يدانيك في العلا وفضلك يا سبط النبي شهير
فدتك أبا الأشراف روحي ومهجتي وما ذاك إلا في علاك حقير

استند الشاعر على تكرار مشهد نداء، في المشهد الأول عرف الحسين بأنه الحسين وحذف ياء النداء للدلالة على قربه المتكلم وتضامنه مع القضية الحسين (حسين ... حسين) ، والمشهد الثاني (يا سبط النبي) للدلالة على قدسية الحسين ، والمشهد الثالث (فدتك أبا الأحرار) واصل الكلام (فدتك يا أبا الأحرار روحي ومهجتي) ، كل هذه المشاهد مجتمعة خلق نوع من التواصل الروحي بين المتكلم واستعداده لتقديم نفسه على حقارتها دون الحسين وقضية الحسين .

ويصور الشيخ صالح الكواز(ت١٢٩٠ه)، قدوم ناعي الحسين عليه السلام إلى المدينة[٣٧] :

باسم الحسين دعا نعـــــــاء نعـــــــاء فنعى الحياة لسائر الأحياءِ
وقضى الهلاك على النفوس وإنما بقيت ليبقى الحزن في الأحشاءِ
يومٌ به الأحزان مازجت الحشا مثل امتزاج الماء بالصهباءِ
لم انس اذ ترك المدينة واردا لا ماء مدين بل نجيع دماءِ
وقد كان موسى والمنية اذ دنت جاءته ماشية على استحياءِ

يفتتح الشاعر أبياته بمشهد مهيب يصور فيه موت الحياة وتوقفها وكأنها مرتبطة بوجود الحسين وما بقائها إلا لتصارع الم الحزن والاسى في كل مرة يشرب فيها الشيعة الماء إلا وامتزجت فيها أحزانهم وهو ما دفع الشاعر إلى استحضار أحداث أسطورية قديمة ليعيد إنتاج أحداثها بأحداث الطف فيصف خروج الحسين من مكة إلى كربلاء وهي شبيه لخروج موسى عليه السلام من مصر إلا أن الرحلة للحسين(ع) وأهله تنتهي بالشهادة والسبي.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

وقد اهتم الشعراء بإظهار مشهد الناعي والتأكيد عليه وهم موصون بذلك، يقول السيد حيدر الحلي (ت١٣٠٤ه)، رأيت في المنام فاطمة الزهراء(عليها السلام) فأتيت عليها باكياً فقالت لي[٣٨] :

أناعيَ قتلى الطف لا زلتَ ناعيا تهيج على طول الليالي البواكيا

فجعلت ابكي وانتبهت فوفقني الله على قول[٣٩]:

أعد ذكرهم في كربلا إن ذكرهم طوى جزعاً طيَّ السجل فؤاديا
ودع مقلتي تحمر بعد ابيضاضها بعد رزايا تترك الدمع داميا
ستنسى الكرى عيني كأن جفونها حلفن بمن تنعاه أن لا تلاقيا

يعيد الشاعر كتابة سيناريو حواره مع سيدة الخلق (فاطمة الزهراء على أبيها وعليها السلام)، ويفتتح المشهد بالفعل الطلبي (اعد) وهو مشهد تداولي ، يحمل غاية مفادها توجيه اتباع أهل البيت ، لذكر مصاب الحسين ورثاءهُ ،وتجديد ذكرى عاشوراء ومظلوميته.

والمشهد الكربلائي لا يتحدد بمكان ولا زمان فكل يوم عاشوراء وكل مكانا كربلاء لذا يلجا الشعراء في اغلب قصائدهم إلى تجسيد وتشخيص الزمان والمكان للمشهد الكربلائي، يقول الشاعر الملا علي حمزة الخيري(ت١٣٤٠ه)، في الحسين عليه السلام[٤٠]:

وراءك عني حسبي اليوم مابيا وكُفي ملامي لا عليَّ ولا ليا
امن بعد يوم ابن النبي بكربلا يجيب فؤادي للصبايا داعيا
غداة ابن هند شبَّها نار فتنة بها عاد جمر الوجد للحشر ذاكيا
وقاد لحرب ابن النبي جحافلا واوقدها حرباً تشيب النواصيا
فهب لها حامي حمى الدين مفردا بأهلي وبي ا فدي الفريد المحاميا
ومازال للارواح يخطف سيفه إلى أن هوى شلواً على الارض ثاويا
تظلله سمر الرماح وتارة تهيل عليه العاصفات السوافيا
تريب المحيا في الصعيد معفراً ثلاثا على وجه البسيطة عاريا
ومن حوله أشلاء أبناء مجده دوام بنفسي افتديها دواميا

يصور الشاعر مشهد الصراع مع الآخر وهي نفسه اللوامة التي تحاول تغيير منهج الحزن الدائم عنده فتشتكي جزعه من كثرة الحزن وتدعوه للاستمرار في الحياه ، وهو مشهد حواري لطرفين احدهما يختلف عن الآخر في وجهة النظر ، لكن ترجح كفة الحزن ويقدم الشاعر مجموعة من الحجج المقنعة التي تبرر حزنه فيتدرج بذكر المشاهد المنفصلة في الزمان والمكان، فيجعل المشهد الأول بداية وبذرة المصاب، عندما تولي يزيد بن معاوية مقاليد الحكم في الشام (غداة ابن هند شبها...) ، ليأمر بعدها بقتل الحسين (وقاد لحرب ابن النبي...) ، وهي حرب المقصود منها دين النبي وما جاء به من تعاليم وإصلاحات ، (فهب لها حامي حمى الدين مفردا) فهب الحسين وأهله في كربلاء مدافعا حتى النفس الأخير عن دين الله وما جاء فيه من صلاح وخير للامة ، ومن ثم يصور الشاعر في المشهد الذي يسبق الأخير جسد الحسين وقد تلافقته السيوف والرماح تقطيعا ، ويترك على ارض الرمضاء وتحيط به جثث الأهل والأصحاب دون دفن لأيام ثلاثة ، وهي مشاهد عليها الحزن يدوم .

الخاتمــة:

ختاما يمكننا القول إن المشهد الشعري الكربلائي لم يقتصر على الزمكانيه بل هو رمز لقضية إنسانية جسدها الحسين(ع) في كربلاء، وقد اثبت المشهد قدرته الإبداعية ، على ابتكار الكثير من الظواهر الفنية واللغوية والتركيبية التي تم استدعائها لخدمة الغرض الحقيقي ، كما اسهم المشهد والكلمة في عملية الأخبار

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

عما جرى على ارض كربلاء من أحداث مأساوية ، فكان خير سبيل للتواصل مع المتلقي من جهة ، والمرسل من جهة أخرى اذا افترضنا أن المشاهد هي خطاب يحمل توجهات المرسل ومواقفه ، لعلها كانت أداة للتعبير عن الواقع كما يراه الشاعر وتوجيهه وفق غايات موضوعة مسبقا.

الهوامـــــــــــش:

- أدب الطف أو شعراء الحسين(ع)، من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، الكتاب للسيد جواد بن علي بن محمد بن علي بن حسين بن عبد الله المعروف بـ شبر بن محمد رضا بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن نجم الدين بن الحسن الشبر الأفطسي، الحسيني، الكاظمي من مواليد (١٣٣٢ه/ ١٩١٤م)، عالم وخطيب وأديب وشاعر، ولد في النجف الأشرف من أسرة علوية علمية عريقة، يرجع نسبها الشريف إلى الإمام زين العابدين بن الحسين (عليهما السلام)، ينظر: شعراء الغري: ج٢/ ٤٧٢ ، وينظر: مصفى المقال في مصنفي علم الرجال :٢٣٨

---

[١] - دلائل الأعجاز : ٢٥٤
[٢] - الصورة الأدبية في القران الكريم : ٦
[٣] - شعرية المشهد في الأبداع الادبي:٩
[٤] - المشهد في النص الشعري ، من الحضور اللغوي إلى التشكيل الذهني ، د. توفيق مساعدية، مجلة العلوم الانسانية،العدد٥١، جوان ٢٠١٩ : ٣٢١
[٥] - منهاج البلغاء وسراج القدماء : ٧٩
[٦] - ينظر : النص المسرحي الكلمة والفعل :١١٢
[٧] - مقدمة في السيمائية السردية : ١٧
[٨] - ادب الطف أو شعراء الحسين :ج١/ ٥٢
[٩] - المصدر نفسه : ج١/ ٥٢
[١٠] - ينظر: بنية النص المسرحي في الأدب الجزائري : ١٣٤
[١١] - ادب الطف أو شعراء الحسين : ج١ /٥٤
[١٢] -المصدر نفسه : ج١/ ٥٤
[١٣] - المصدر نفسه : ج١/ ٥٤
[١٤] - ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة: ١٩٨
[١٥] - ادب الطف : ج١/ ١٦٤
[١٦] - المصدر نفسه: ج٢ / ٢٥٦
[١٧] - المصدر نفسه: ج٢ / ٣١٥
[١٨] - المصدر نفسه: ج٣ / ٢١
[١٩] - المصدر نفسه: ج٣ /١١٢
[٢٠] - التداولية مقاصد وآداب : ٢٩
[٢١] - الملحمية في الرواية العربية المعاصرة : ١٧٧
[٢٢] - ادب الطف : ج٣ / ١١٢
[٢٣] - الأمام الحسين وأصحابه : ٩٨
[٢٤] - ادب الطف : ج٤ / ٢٣
[٢٥] - المصدر نفسه: ج٤ / ٩٨
[٢٦] - المصدر نفسه: ج٤ /١٤٥
[٢٧] - عن بناء القصيدة العربية الحديثة : ١٤٠
[٢٨] - تداولية الخطاب المسرحي، مسرحية عصفور الشرق " لتوفيق الحكيم انموذجا، أ.لحمادي فطومة، الملتقى الدولي الخامس "لسيمياء والنص الأدبي" : ٥٨٩
[٢٩] - تأصيل المسرح العربي بين تنظير وتطبيق في سوريا ومصر :١٦٥

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد السابع والعشرون– تشرين الثاني ٢٠٢٣–ربيع الاخر ١٤٤٥
ISSN-2536-0027

[٣٠] - ادب الطف : ج٤ / ١٩٣
[٣١]- المصدر نفسه: ج٤ / ١٩٣
[٣٢] - المصدر نفسه: ج٤ / ١٩٣
[٣٣]- المصدر نفسه: ج٤/١٩٣
[٣٤]- المصدر نفسه : ج٤/ ١٩٣
[٣٥]- المصدر نفسه: ج٥ /١٨
[٣٦]- المصدر نفسه : ج٦ /٨٥
٣٧- المصدر نفسه : ج٧ / ٢١٣
٣٨- ينظر: المصدر نفسه : ج٨ /٨-٩
٣٩- المصدر نفسه : ج٨ /٩
٤٠- المصدر نفسه : ج٩ / ٤٣

المصادر

- ادب الطف شعراء الحسين(عليه السلام)،من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر،ج١،دار المرتضى،لبنان-بيروت١٩٨٨م .
- الأمام الحسين وأصحابه، العلامة الشيخ فضل علي القزويني، ج١، ط١، العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء، ٢٠١٥ م.
- بنية النص المسرحي في الأدب الجزائري ،دراسة نقدية، عز الدين جلاوجي .
- تأصيل المسرح العربي بين تنظير وتطبيق في سوريا ومصر، منشورات اتحاد الكتاب.
- تداولية الخطاب المسرحي، مسرحية عصفور الشرق " لتوفيق الحكيم انموذجا، أ.لحمادي فطومة، الملتقى الدولي الخامس "لسيمياء والنص الأدبي".
- التداولية مقاصد وآداب ، صبري إبراهيم السيد، مكتبة الآداب ،ط١،مصر - القاهرة، ٢٠١٩م .
- دلائل الأعجاز ، أبي بكر عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه :محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ،ط٣، القاهرة، ١٩٩٢م.
- شعراء الغري أو النجفيات ، علي الخاقاني، مطبعة بهمن ، نشر: مكتبة آيه الله المرعشي النجفي، ايران- قم ،١٢٠٨هـ.
- شعرية المشهد في الأبداع الأدبي، حبيب مونسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٣م .
- الصورة الأدبية في القران الكريم ، محمود علي مكي ،ط١، الشركة المصرية العلمية للنشر ، لونجمان١٩٩٥م .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، الدكتور علي عشري زايد، ط٤، مكتبة ابن سينا، مصر - القاهرة،٢٠٠٢م .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، الدكتور علي عشري زايد،ط٤،مكتبة ابن سينا لطباعة والنشر،مصر-القاهرة،٢٠٠٢م .
- المشهد في النص الشعري ، من الحضور اللغوي إلى التشكيل الذهني ، د. توفيق مساعدية، مجلة العلوم الانسانية،العدد٥١، جوان ٢٠١٩ م.
- مصفى المقال في مصنفي علم الرجال، العلامة الشيخ اقا برزك الطهراني ،دار العلوم للنشر والتوزيع، ط٢، بيروت لبنان ١٩٨٨م.
- مقدمة في السيميائية السردية، رشيد بن مالك ،دار القصبة للنشر، الجزائر،٢٠٠ م .
- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، سعد عبد الحسين العتابي،ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ٢٠٠١ م .
- منهاج البلغاء وسراج القدماء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب ،ط٣، تونس، ٢٠٠٨م.
- النص المسرحي الكلمة والفعل، فرحان بلبل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠٣م .